مختلفة، لكنهم حين وصلوا آخر حدود المنفى بدأ حوارهم من أجل علم واحد هو علم فلسطين.

وفي ذلك الزمن القديم كان مغنّي مخيّمنا ذيب البحيص يبدأ السامر الليلي بالغناء الموروث:

نـريـدهـا ... نـريـدهـا
كيـف مـا نـريـدهـا
بنـت الشيـخ الـعـرب
والـعسـل ريقـهـا
يـا حمـام ... يـا حمـام
وعـين سلمـى ... تنـام
تحـت ظـل القطيفـة
فسوق ريش النـعـام

وحينئذ يتواصل السهر في ذلك السامر الليلي، ويهتاج الشوق كالنيران، وينبثق الجرح الكامن تحت الجلد ...

وأين هي نقطة البدايات؟

فلسطين فقدها الجميع، فلسطين فقدها الأغنياء والفقراء، أبناء العائلات الكبيرة وأبناء العائلات الصغيرة، المتعلمون والأميون، الشعراء والعاملون في المختبرات الكيميائية... فلسطين فقدها سكان المدن الساحلية والجبلية والقرويون والبدو الذين كانوا يرتحلون داخل محيطها. فلسطين فقدها الجميع. وفلسطين هي حلم الجميع الذي يتوهج في أشكال شتى تتراوح بين اليأس والأمل، وتتجاذب بين الصمت والجنون...

ولقد كان ذيب البحيص يغير من إيقاعه فيغنّي:

والله يا دار ... لو عدنا كما كنا
لأطليكي يا دار،
بعد الشيد بالحنّا.

حينذاك، يتوتر إيقاع السامر الليلي ويتجلى حلم فلسطين عند الجميع بأشكال شتى وينام مخيمنا تلك الليلة وهو يستند إلى قوة الوعد.

ولعل فتح.. لعل ثورة فلسطين في كل حضورها الشامل هي قوة ذلك الوعد الذي كان مخبوءا في حزن المواويل...

٢ ــ طيور النار

في مطلع عام ١٩٧٨، احتشد بضعة آلاف من الرجال والنساء والأطفال في مخيم تل الزعتر الجديد في الدامور، كانت المناسبة هي الاحتفال بذكرى انطلاقة الثورة، تدفّق